

نعمة المكيف

تفريغ من شرح كتاب الصوم من صحيح البخاري

للشيخ

د. محمد بن محمد المختار الشنقيطي

غفر الله له ولوالديه وللمسلمين

التفريغ لم يطلع عليه الشيخ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الإمام البخاري : (وبلَّ ابن عمر ثوبًا

فألقاه عليه وهو صائم) .

قال الشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي حفظه الله

(١) : (وبلَّ ابن عمر ثوبًا فألقاه عليه وهو صائم)

ليتبرّد، وهذا إذا قرأه الإنسان لا يقرأه بقلبٍ غافل، والله لو أن الكثير من الشباب اليوم وصغار السن أدركوا الأيام التي لم تكن فيها هذه الكهرياء لعلموا مقدار نعمة الله ولطفه خاصة في هذه الأزمنة الحارّة الشديدة.

انظر كيف ابن عمر **رضي الله عنه** من الشدة وخاصة إذا كان صائماً يحتاج إلى أن يبل الثوب ويضعه عليه، ما يستطيع الحرّ شديد، ويسقط الصائم، كان الصوام يسقطون كما في

(١) وذلك في شرحه لكتاب الصوم من صحيح البخاري في مجلسٍ مبارك كان بتاريخ ٢٠/٠٨/١٤٣١هـ.

الصحيح في أسفار النبي ﷺ في الأحاديث الصحيحة (لَقَدْ
 رَأَيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ فِي يَوْمٍ شَدِيدِ
 الْحَرِّ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِّ،
 وَمَا مِنَّا أَحَدٌ صَائِمٌ، إِلَّا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ).

الصوم شديد خاصة في أيام الحرّ وأزمة الحرّ لا
 مكيفات ولا غيرها.

وَكُنَّا فِي الْمَسْجِدِ -هنا- لم تدخل المكيفات، وكان
 الوالد رَحِمَهُ اللَّهُ دروسه بعد الفجر وبعد الظهر وبعد العصر
 إلى الإفطار، فكان في ذروة الصيف تجد الناس يفرون إلى
 أي مكان فيه مروحة ولا فيه شيء يتبردون، يأخذون
 الشراشف ويضعون الماء، نذكر هذا لأنه يُذكر بنعمة الله.

- واليوم الإنسان يخرج إن جلس في المسجد فهو في
 مكيف.

- وإن خرج إلى السيارة فهو في مكيف.
- وإن ذهب إلى عمله فهو في المكيف.
- حيث ما ذهب، حتى في السوق والمتجر؛ صارت الأسواق والمتاجر تُكَيَّف.

لكن هل ذكر الإنسان نعمة الله؟

- هل جرّبت يوماً من الأيام وأنت في سيارتك أن تُطفئ المكيف وتمشي فقط لمقدار عشر دقائق أو ربع ساعة حتى تعلم ما هذه النعمة التي سخّرها الله لكم ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ﴾ [الجاثية: ١٣]، ليس من أحد، من الله، ولو كانت هذه النعم يريد الله ^{سُبْحَانَهُ} ^{وَعَالِيَهُ} أن يعطيها من هو أصلح وأفلح لأعطاها إلى من هو خير منا.
- فاعلم أن الله أعطاك نِعَمَ عظيمة.
 - ومنن جليلة كريمة.

لكن ما بقي لك إلا:

• أن تُعظّم الله من خلال هذه النعمة.

• أن تذكره ولا تغفل عنه.

• وأن تشكره فلا تنسى فضل الله سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ دائماً.

كنا أدركنا كبار السن والله كانت الأمور والنعم قليلة،

تجد الواحد منهم إذا قام: «الحمد لله»، إذا قعد «الشكر لله»،

إذا رأى أقل شيء ما تسمع إلا «الحمد لله» و«الشكر لله».

وتعجب الآن من نعم مترادفة قل أن تجد الشخص يقول

حتى: «بسم الله»، نسأل الله السلامة والعافية.

وفعلاً «ما الفقر أخشى عليكم ولكن أخشى ما يفتح الله

عليكم من زهرة الدنيا فتنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم»،

لأن هذه الدنيا تشغل؛ فينبغي ألا تشغلك عن ذكر الله وَعَجَلٌ،

وتكون دائماً مُتذكراً لفضل الله وَعَجَلٌ، وأن تعلم أن هذه

النعم لا تستوجبها على الله وَعَجَلٌ.

انظر غيرك، والله تخرج في عِزَّةِ الظهيرة فتنظر إلى العامل وهو يكدح يبحث عن لقمة العيش في شدة الحر يَكْنِسُ وَيُنْظَفُ.

وكانت الوالدة رحمها الله تأخذ بعض الأخوات إلى النافذة في عِزِّ الظهر تقول: انظروا إلى هناك، ليست شماتة، بعض الأحيان تبكي تقول: «انظروا، انظروا حتى تحمدوا الله وتشكروه»، ينبغي أن يتربَّى الإنسان على الشكر وأن يُرَبِّي أولاده على هذه النعم.

وانظروا هذا الصحابي الجليل يأخذ الثوب ويبله ويضعه عليه من شدة ما هو فيه، وأنت لا تأخذ ثوبًا ولا تَبُلُّ؛ إنما فقط بلمسة، بأقل حاجة تُشْعِلُ لك هذا المكيف؛ لأنَّ الله كتب وحكم من فوق سبع سماوات قبل أن يخلق السماوات والأرض، جرى القلم أنه يُخلق لعبدي مكيف في غرفته.

هل إذا نمت ليلة من الليالي في شدة الحر؛ استيقظت
الصباح شعرت أن الله كتب لهذا المكيف أن يشتغل على
رأسك؟ فشعرت بنعمة الله وقلت: الحمد لله!؟

هل ذكرت الله حق ذكره!؟

هل شكرت الله حق شكره!؟

أين نحن!؟

والمصيبة أننا غافلون، وأبناؤنا غافلون، وبناتنا غافلون،
وَنَجْرٌ بَعْضُنَا إِلَى الْغَفْلَةِ!

يأتي الواحد ويدخل يقول: والله هذا المكيف ما يبرد مثل
الناس، هذا المكيف تعبان، هذا...، نقد للنعمة نسأل الله
السلامة والعافية، أما أن يذُكر أين هو ومن الذي أعطاه؟ هل
إذا تذكَّرت يوماً من الأيام وقد أصبحت وأنت تحت
الكيف (٨) ساعات أو (٦) ساعات أو (٥) ساعات أو

ساعة واحدة وقلت: يا ربّ لك الحمد و الشكر، من الذي أشعله؟ من الذي أوقده؟

كان أول ما خرج المكيف يُصَبّ فيه الماء، وإذا لم يُصَبّ فيه الماء يحترق، فقد ينام الإنسان وفي أثناء النوم ينتهي ماؤه ويحترق عليه.

ونذكر أناس -حتى فيه أناس نعرفهم- ماتوا بسبب المكيفات هذه التي تسمى بـ«الصحراوي»، يأتي يصلح فيه شيء فتلسعه الكهرباء فيموت، كثير منهم ماتوا خاصة عند أول صنعه، والآن لا تضع ماء ولا تغير ولا تبدل، وكما تشاء، كان يقوم ويغير في درجات المكيف، لا، جاءه إلى عنده لأن الله قال: يبرده ويبرده وهو في يده، لأن الله قال، لأن الله أمر، لأن الله أعطى، ما أحد أعطاك، ليس هناك أحد تفضّل عليك غير الله، وسخّر لكم هذه الكهرباء تنسف أمة، لو انفجر سلك كهرباء في الطائرة وهي في الجو يقتل أناساً

في طرفة عين، مئات يقتلهم في طرفة عين، هذه الكهرباء من الذي سخرها وهي نار عدو لك؟ يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**إن هذه النار عدو لكم**»، فَمَنْ الذي سخرها؟ الله.

انظر إلى هذا الصحابي الجليل في صلاحه وتقواه وورعه عبد الله بن عمر، الإمام الزاهد من شدة الحرير ثوبه ويضعه عليه، اللهم لك الحمد كما ينبغي الحمد لجلال وجهك.

تَعْلَمُ نِعَمَ اللَّهِ حَتَّى تَعْرِفَ مَنْ هُوَ اللَّهُ؟ وتقدر الله حق قدره.

• كل نعمة، حينما تأتي تتنعم بها اعلم أن الله أعطاكها:

- ولو شاء الله لانقلبت عليك نعمة.

- ولو شاء الله لم ترها عينك ولم تسمع بها أذنك.

فكل شيء حتى القلم في يدك، أمره الله أن يكتب في يدك، ولو شاء الله أن يجف، ولو شاء الله أنك ما تكتب، كل شيء تتفكر فيه بعظمة الله **وَعَجَلٌ**.

ترفع الثمرة رطبة، ترفعها تريد أن تفطر وأنت صائم

فتقول: سبحان الله، لأن الله كتب أن هذه الرطبة تأتي

من القصيم إلى المدينة ومن الرياض إلى المدينة ومن

المدينة إلى الرياض لأنها رزق عبدي فلان، فطوراً له

في صومه، أو فطوراً له في صباحه من يومه، يأخذها مع

القهوة يستصبح بها، لكن هل سأل نفسه: أن هذا البُن

الذي يطحن من الحبشة أو يأتي من اليمن أنه رزقٌ

ساقه الله إليك؟ غفلة عن النعم، متى تشكر؟ متى

تشكر؟ لا يشكر الله إلا من أحبَّ الله، ولذلك قال: **«إني**

أحبك، فلا تدعن كلمات تقولهن دبر كل صلاة: اللهم

أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»، اللهم أعنا

على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

فلنستفق من هذه الغفلة، هذه النعم التي نعيشها ينبغي أن

نُذكّر بها أنفسنا، ولنُذكّر بها أولادنا، وإخواننا، وكل من

أعطاه الله خير يُذكّر به فإنه أقل أقل وعُشر معشار -ويمكن

أقل من العشير - من فضل الله **وَعَبَّكَ** علينا، ومع هذا:

- إن ذكرت الله ذكرك.

- وإن شكرته في النعمة بارك الله لك فيها.

- وإن شكرت أحبك، زادك **﴿ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ ﴾** ١٤٥

[آل عمران: ١٤٥].

والله يحب الشاكرين، الذي يشكر الله، ولذلك

الشكر لا يعطى إلا لأهل التوحيد الخُلص، المؤمنون

كاملون في إيمانهم، بقدر محبة الله للعبد يعطيه الشكر.

أن الشكر هذا منزلة عظيمة، الشكر في كل شيء
حتى لو نظارة تضعها على عينك، حتى لو كساء تضعه
على رأسك، شكر، لأن هذه النعم ما هي عبث، وما
أعطيت عبثاً، حُرّمها غيرك وأعطيتها، انظروا السلف
حُرّموا هذه النعمة وأعطيناها، حتى إن الرجل يريد أن
يقضي أي مصلحة يسافر في شدة الظهيرة، في شدة
الحر والقر وهو في داخل سيارته في أبرد ما يكون، كان
الناس في القديم - وهذا يعرفه الكثير من الذين أدركوا
هذه الأيام - يضعون الماء في الشراب ويضعونه في
السقاء والأخبية، في الصيف إذا برد ما يصل حتى بداية
البرودة الموجودة الآن، بدايتها، وهذا أبرد ما يكون،
وأنت الآن تجد الثلج.

والله إني في يوم من الأيام في شدة الظهيرة مسافر من
الرياض إلى الطائف، ووقفت لأخذ ماءً اشتريته من

المحطة، ولما شربته يعلم الله أني بعده ما تماكنت نفسي،
 تعجبت كيف هذا الماء من أين جاء؟ «الصفاء» من مكة،
 يقولون: أن شركته في مكة، ويكون رزق لعبدي فلان في
 طريقه ما بين الطائف والرياض، أرزاق قسّمها ربّها:

خلق الخلق فأحصاهم عددًا وقسّم أرزاقهم فلم ينسَ أحدًا



لا تحسب أن هذا كُله عبث تدخل وتخرج وتبرد وتتدفأ،
 إن جاءك الشتاء تدفأت، وإن جاءك الحر بردت، ما هو عبث
 هذا؛ ستحاسب والله، يقول النبي ﷺ: «والله لتُسالن عن
 نعيم يومكم»، وأين النعيم الذي كان فيه الصحابة من النعيم
 الذي فيه نحن؟!!

فينبغي أن يستيقظ الإنسان من الغفلة، وأن ينتبه ونبه
 من حولك من إخوانك من أصحابك تسافر مع إخوانك

تقول لهم: سبحان الله من طوى لنا هذه الأرض؟ مسافات
تُقطع بالشهور.

كانوا يسافرون بالأيام والأسابيع وأنت تقطعها

بالساعات:

- آمناً في سربك.

- مُعافاً في جسدك.

- وآمن من الهوام ومن الحيات.

- ومن قطع الطريق.

- ومن البلايا، كُله بأمان الله، لا تغفل ﴿وَلَا تَكُنْ مِّنَ

الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥]، ودائماً تستشعر هذه

النعمة، هذا الصحابي الجليل **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** وأرضاه يتبرّد

بالثوب المُبلّل.

وجه الدلالة من هذه الأثر عن ابن عمر: أنه جعل برودة

الثوب مع كونها تلامس البدن لا تضر في الصوم كما أن

الماء إذا اغتسل به تبرّد، وهذا لا يضر في صومه.